مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م (٣٤)، ع (١)، ص ص: ٤٧٨ – ٥٠٢ (٢٠٢٦م)
DOI: 10.4197/Art.34-1.17

الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية: قراءة في الرؤية النقدية لبشير عباس بشير

أبو صباح علي الطيب أبو صباح

أستاذ الأدب والنقد المساعد، قسم تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

كلية اللغات والعلوم الإنسانية، جامعة القصيم، بريدة، المملكة العربية السعودية

aa.abusabah@qu.edu.sa

المستخلص: يدرس هذا البحث رؤية الناقد السوداني بشير عباس بشير للاتجاه الواقعي – أحد أهم تيارات الرواية السودانية – ويستعرض قراءته النقدية لنماذج مختارة من الرواية، كاشفًا عن أسرار بنائها الفني على مستوى الحدث، والشخصية، والبناء الملحمي، والدرامي للشخصية، ووحدتي الزمان، والمكان. وقد هدف البحث إلى الكشف عن الرؤية النقدية لبشير، معتمدًا على المنهج الوصفي التحليلي القائم على الملاحظة، والاستنتاج، ورصدِ الآراء، وربْطِها بالواقع. ويحتوي البحث على مقدمة، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع، وعناوين ناقشت رؤية بشير النقدية، وبيَّنت القيمة العلمية لآرائه، وتناولت قضايا الواقع، وبنائها الملحمي، والدِّرامي، وغير ذلك ممَّا يتصل بالجانب النظري، والتطبيقي، ويعالج العلاقة بين الرواية والواقع، وكشفت الخاتمة عن رؤيةٍ نقديةٍ عميقةٍ، وشاملةٍ لبشير عباس مزجت بين المنهجين التاريخي والمقارن، وبيَّنت قدرته على التعامل مع النص الروائي بوصفه منظومةً لغويةً إبداعيةً يُسعى إلى تفكيكها؛ لفهم عناصر السرد، واكتشاف علاقته بالواقع، وقد تضمَّنت النتائج توصيةً باستكمال مشروعه النقدي في ضوء خصوصية المكان في الرواية السودانية.

الكلمات المفتاحية: الرؤية النقدية، الاتجاه الواقعي، الرواية السودانية، قضايا الواقع، بشير عباس.

مقدمة

يقدِّم البحث قراءةً نقديةً لرؤية الدكتور بشير عباس، ويسعى إلى استقصاء جهد فكري لأحد أساتذة النقد الأدبي في السودان، ويقوم على تتبُّع رؤيته النقدية من خلال كتابه (الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة – بين النظرية والتطبيق) وهو مُؤلَّف يقع في ثلاثمائة وست وثلاثين صفحة، وتكمن أهمية الموضوع في ارتباطه بكتاب قيِّم تناول موضوعًا مهمًا لم يجد حظه من العناية لدى نقاد الرواية في السودان، فضلًا عن كون البحث يعرض لرؤيةٍ ناقدةٍ تعمل على اكتشاف علاقة النص الروائي بالواقع، وتبيِّن القيم الفكرية التي تنطوي عليها الرواية. وقد

أكسب الناقد بشير مؤلَّفه بعدًا معرفيًا اتسم بالتعامل الفاعل مع النصوص، وأفاد من قدراته الخاصة في التحليل الفني، من واقع إلمامه بعناصر تكوين الرواية، وأسلوبه الإبداعي في استقصاء انعكاس حركة المجتمع، وتلمس ذلك في النسيج الفني، وسعيه لبيان أثر ذلك في تصوير مشاهد الرواية.

وتتلخَّص أسباب اختيار الموضوع في رغبة الباحث، واهتمامه بقضايا ارتبطت برؤيةٍ نقديةٍ لم تجد حظها من العناية لدى نقاد الرواية في السودان، وحسب علمي فإنَّ نقد الرواية في السودان لم يتناول هذه التجربة المهمة للناقد بشير، ووفقاً لإفادة الناقد الروائي هاشم ميرغني الحاج، فقد شرع في إعداد كتاب عنوانه (مصادر دراسة الرواية السودانية، ١٩٤٨- ٢٠٢٢م) خصص فيه باباً للكتب التي تناولت الرواية السودانية من بينها كتاب الناقد بشير عباس، الذي خصص له مبحثاً فصلياً مطوَّلًا، ومن المتوقع أن يطبع الكتاب مطلع العام٢٠٢٦م.(١)

وقد اتبع البحث تقسيمًا حوى مقدمة، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع وعناوين ناقشت رؤية بشير النقدية، وبيَّنت القيمة العلمية لآرائه، وتناولت قضايا الواقع، والبناء الملحمي، والدِّرامي للرواية، وتوقَّفت عند ملامح التجديد في بناء الشخصية، وغير ذلك ممَّا يتصل بالجانب النظري، والتطبيقي ويعالج علاقة الرواية بالواقع من خلال الكتاب موضوع البحث. وانتهى البحث إلى خاتمة أثبتت جدوى رؤية بشير النقدية، وتضمَّنت توصيةً باستكمال جوانب مهمَّة لم يُتح للبحث تغطيتها.

وانطلق هذا البحث من منهج وصفي تحليلي نقدي، يهدف إلى استجلاء رؤية بشير لملامح الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية، معتمدًا على التتبُّع الدقيق والاستقصاء المنهجي لعناصر بناء العمل الأدبي، والمرتكزات التي تنهض بها الرواية، وقد شكَّلت المفاهيم، والمقولات النظرية والتطبيقية التي تضمنها كتاب بشير أساسًا معرفيًا أسهم في إغناء البحث، وبيَّن جدوى آرائه التي تعدُّ إضافة نوعيةً للمكتبة السودانية.

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على الملاحظة، والاستنتاج، ورصدِ الآراء.

وبنظرة عامة فإن رؤية بشير النقدية مبذولةٌ في قالب اتسم بالوضوح، وامتاز بالبراعة، والقدرة على الربط بين الموضوعات، وبمناقشة قضايا الواقع، واستظهار آثارها على بناء الراوية الفني، وهو أسلوب أتقنه بشير، وعَمَد من خلاله إلى حشد آراء نقدية أسَّست لنقدِه البنَّاء، وبيَّنت رؤيته الشاملة في قراءة العمل الأدبي.

---

(١) الحاج، هاشم ميرغني، (٢٠٢٥/٥/٣م) "اتصال هاتفي شخصي من مقر إقامته بالدوحة – قطر"، ٢٠٢٥/٥/٣م، الحادية عشرة صباحًا.

ويلاحظ أنَّ بشيرًا اتخذ من البعد التاريخي مصدرًا استعان به على الكشف عن تأثير الواقع في نماذج الرواية، وحرص على استدعاء أدق التفاصيل، وعرضِها متلاحقةً بعد مراعاة التدرُّج، والانسياب، متناولًا القضايا الفكرية بأساليب فنية تكشف عن ملامح الرواية الواقعية، وتتتبع عناصر بنائها عبر نماذج لأهم كُتَّابها، وتقف على الفروق المميّزة لبناء الحدث، والشخصية، وتُعنى بالبناء الملحمي، والدرامي للشخصية في روايات حرص كتابُها على استدعاء الواقع، واستلهامه في معظم أعمالهم.

وتوسَّل بشير إلى غايته بربط شامل، استصحب النسيج المحكم للرواية بوصفها صورة نثرية فنية تصوِّر الواقع المعيش، يتداخل فيها اللغوي، بالحدث الذي هو الموضوع، وبدلالات الحدث الماثلة في المضمون المُعَبَّر عنه من خلال الأدب الروائي، الذي يصور حركة المجتمع، ويبدي صورته، في سياق الارتباط الوثيق بين الكتابة الروائية، والواقع.

وتضمنت رؤية بشير النقدية استعراضًا يروي مسيرة الرواية الواقعية في السودان، مفيدًا من تجاهل النقد الروائي لها، فالذين تناولوا فن الرواية في أرقى مستوياتها عند الطيب صالح "لم يتناولوه بصورة تهدف إلى الكشف عن فن الرواية عنده، ولم يدرسوا طريقته الفنية، ولم يتعرضوا لمعنى الواقعية عنده، فجميع الدِّراسات كانت تنظر إلى أعماله بطريقة جزئية ينقصها شمول الرؤية".[١] وأخذ بشير يعدِّد الدراسات التي تبنَّت النظرة الجزئية في تحليل روايات الطيب صالح، مشيرًا من بينها إلى: كتاب (في الأدب الحديث) لعبد القادر القط، وكتاب (أدباء معاصرون) لرجاء النقاش، مشيرًا إلى الجزء الذي يخص رواية موسم الهجرة إلى الشمال، وما كتبه محمود الربيعي في مقالات نقدية...[٢]

١-١ بشير ورؤيته النقدية:

بشير عباس بشير أستاذ جامعي[٣] صاحب تأملات نقدية في الشعر، والرواية، وهو باحث أكاديمي له دراسات - على قلتها - تتسم بالعمق، وقد اضطلع بأثر واضح في بناء نهج علمي

---

(١) عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة بين النظرية والتطبيق، طبعة أولى، أم درمان، دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة، والنشر، ص٢.

(٢) السابق، ص٢.

(٣) تخرَّج بشير عباس في جامعة أم درمان الإسلامية في العام ١٩٦٨م، ثم سافر إلى جمهورية مصر العربية؛ لينال بها في العام ١٩٧٨م درجة الماجستير في الأدب والنقد الحديث من جامعة القاهرة، التي واصل بها دراسته لنيل درجة الدكتوراة في الأدب والنقد الحديث، حتى نالها في العام ١٩٨٣م، ثم عاد إلى السودان، وعمل أستاذًا مساعدًا في الأدب والنقد الحديث بقسم اللغة العربية في جامعة أم درمان الإسلامية، ورئيسًا لقسم اللغة العربية بكلية الآداب، ثم عُيِّنَ أول عميد لكلية اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية، وعمل متعاونًا بعدد من الجامعات السودانية، لسنوات امتدت حتى ذهابه منتدبًا إلى كلية المعلمين بالدمام بالمملكة العربية السعودية من العام ١٩٩٧م - ٢٠٠٧م، حيث عاد بعدها إلى جامعة أم درمان الإسلامية، حتى وفاته في الرابع عشر من مايو ٢٠٢٣م.

لم يوثِّق له، واكتفى ببثه في تضاعيف المشهد الثقافي السوداني عبر مشاركات علمية متباعدة داخل الجامعة، وخارجها، وكذلك له أعمال لم تُنشر حال معظم علماء، وأدباء السودان[١] وله مشاركات عبر فضاء جائزة الطيب صالح العالمية بالخرطوم من خلال تحكيم الرِّواية، والقصَّة، والنَّقد، وعبر الندوات العلمية الأخرى، والمنتديات الخاصة، والعامة.

وكتاب (الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية) يقع في ثلاثة أبواب تسبقها مقدمة، وتعقبها خاتمة، وقائمة بالمصادر، والمراجع، وببليوجرافيا بالروايات الواقعية في السودان، متدرجة بحسب تواريخ نشرها، وتتضمن فهرساً بمحتوى الكتاب.

حاول بشير تقديم قراءة نقدية للرواية الواقعية، في وقت لم يفِ نقد الأدب السوداني بمسايرة واقع الرواية السودانية، ولم يتناول الأبعاد المؤثرة في بناء الرواية، وخلت الساحة إلَّا من دراسات متفرقة في هذا المجال منها[٢]: دراسة بابكر الدرديري (تطوُّر الرواية الحديثة في السودان ١٩٧٥م)، وهي دراسة شاملة تضمنت محاولةً لتأصيل الفن الروائي في الأدب السوداني الحديث، من خلال تَلَمُّسِ جذوره، والإشارة إلى اتجاهاته العامة، وقد جاءت دراسة الدرديري على خلاف بقية الدِّراسات التي اقتصرت على رواية واحدة، أو أكثر دون أن تتعمَّق في التفاصيل النقدية المتصلة بالبناء الفني، وفي ذات السياق يَعُدُّ بشير عباس دراسة عبد المجيد عابدين (تاريخ الثقافة العربية في السودان – ١٩٥٥م) ضمن أبرز، وأولى الدِّراسات التي تناولت الرواية السودانية ممثلةً في: مصرع تاجوج، لمحمد عثمان هاشم. تعقبها دراسة محمد زغلول سلَّام عن القصة السودانية، التي ضمَّنها فيما بعد كتابه (القصَّة الحديثة) – وهي أكثر تركيزًا من دراسة عبد المجيد عابدين – وقد تعرضت لمراحل تطوُّر القصَّة في السودان، وعُنيت بدراسة بعض الرِّوايات، على أساس أنها قصص، وليست روايات، منها: عرس الزين للطيب صالح، والنَّبع المر لأبي بكر خالد، وإنهم بشر، لخليل عبد الله الحاج، وقد تلا كِتاب القصة الحديثة دراسة مختار عجوبة (القصة الحديثة في السودان) التي تناول فيها فن القصَّة القصيرة، وأشار من خلالها لبعض روايات الطيب صالح، مركزًا على رواية موسم الهجرة إلى الشمال، التي التفت إليها حينها كثير من النقاد من بينهم رجاء النقاش، الذي تناولها في كتابه (أدباء معاصرون ١٩٦٨م)، وتبعته في ذلك الناقدة فاطمة موسى بكتابها (في الرواية العربية) والناقد شكري عيَّاد الذي تناول أدب الطيب صالح في (مجلة الفكر ١٩٧٢م) التي تصدر في

---

(١) له مجموعة مؤلفات منها: الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية، والأدب المسرحي في السودان– نشأته وتطوره، والاتجاه الرومانسي في شعر إدريس جماع، والقصة القرآنية، وبناؤها الفني، ومسرحية بامسيكا– قراءة نقدية، وعالم طه وادي الروائي، والقصصي، وقد أرَّخ لحياته بكتاب (حياتي وذكرياتي، ٢٠١٠م). الذي يروي سيرة عطاء أستاذ نادر محبوب، وصاحب مكانة كبيرة في نفوس طلابه، ومن الأساتذة القلائل الذين أحاطوا بفنون العربية، ولهم في تقديمها أسلوب ماتع واقتدار جعل من درسه سياحة فكرية، وتطواف بديع على فنون المعرفة.

(٢) ينظر عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ–٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص ٩–١٠.

الكويت، ومن بعد في كتابه (الرُّؤية المقيدة)، كل هذا إلى جانب كتاب محمد إبراهيم الشـــوش (أدب وأدباء) الذي حوى مجموعة مقالات تعْرِض رؤية الروائي الطيب صالح في (موسم الهجرة إلى الشمال) شأن نهج محمود الربيعي الذي جاء كتابه (مقالات في النقد) شاملاً في مناقشة أسلوب رواية الطيب صالح.

وقد تأمل بشـــير عباس الرواية الســـودانية، وانتهى إلى أنها شـــهدت ازدهارًا حقيقيًا في فترة الاستقلال الوطني (١٩٥٦م)، وأنَّها حققت تطوُّرًا ملموسًا في الثمانينات؛ وهو ما قاده لدراسة الاتجاه الواقعي بوصفه الاتجاه الفني الأبرز الذي يتيح دراسةَ جوانب متعددة، ويعطي تصوُّرًا شاملاً يتجاوز التناول الجزئي الذي وسم معظم الدراسات التي سبقت دراسته.

ويلاحظ أنَّ الناقد بشير أسهب في تناول الأبعاد الواقعية المؤثرة في نشأة الرواية السودانية، والتمس علاقتها بالجذور التاريخية، والسياسية، والفكرية؛ نظرًا لكونها تُعدُّ أساس الاتجاه الذي تبناه في دراسة الرواية السودانية، وقد ناقش في مُؤلفه البعد التاريخي المكوِّن للبيئة السودانية على اختلاف مســتوياتها: الاجتماعي، والثقافي، والســياســي، والفكري، والتمس تأثير ذلك في توجيه الأدب بعامة، والرواية بخاصة.[١]

وتجدر الإشارة إلى أنَّه استصحب تأثير الأحداث التاريخية التي شهدها السودان على واقع الرواية، وأفاض في تلمُّس الأسباب، وقدَّم دراسة وافيةً استقصت الجذور، وتعمَّقت في سبر أغوار التجربة الروائية في السودان، وتتبع انعكاس الواقع في تفاصيل الرواية، مستصحبًا أثره في تكوين أحداثها، وتوجيه حركة شخصياتها، وانتهى إلى جملة إشارات منها أنَّ فتح السودان على يد محمد علي باشا (١٨٢٠م) كان ضمن أهم المؤثرات، يتلوه استعادة كتشنر فتح السودان مرَّة أخرى تحت شعار استرداد السودان بعد هزيمة الثورة المهدية، التي سبق لها إخراج الأتراك من السودان، ذلك بعد أن أسست نظامًا وطنيًا قوميًا، بعد مقتل غردون في موقعة الخرطوم، وبعيدًا عن التفاصيل التاريخية سعى الكاتب من خلالها إلى استقصاء آثار ملامح التطوُّر العام الذي وســـم الدولة في مناحي الحياة، وبدا واضـــحًا في تقدُّم التعليم،[٢] وظهور الصـــحافة، والطباعة،[٣] وغيرها من العوامل الأخرى التي أسهمت في نشر الوعي، ورفد المكتبة بعدد من

---

(١) ينظر عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص ١-٨٠.

(٢) تطوَّر التعليم في السودان تطوُّرًا كبيرًا إبان الاحتلال الإنجليزي، الذي أنشأ كلية غردون التذكارية (عرفت بجامعة الخرطوم بعد نيل البلاد استقلالها ١٩٥٦م).

(٣) كان للصحافة، والطباعة الدور الأكبر في تثقيف المجتمع السوداني، وتوعيته بالقضايا الفكرية المعاصرة، ونشر الثقافة السودانية التي أتيحت طباعتها مثلما أُشير إلى كتابي الطبقات، ومنشورات المهدي، اللذين طبعا بالمطبعة التي أحضرها الأتراك، وما أعقب ذلك من نموٍّ للحركة الأدبية الفكرية بفعل ظهور الصحافة المصرية التي كانت إصداراتها الغنية المتنوعة تصل المتلقي في الخرطوم.

المطبوعات، [١] هذا فضلًا عن أثر الصحافة المصرية بخاصة في نمو الحركة الأدبية الفكرية في السودان،[٢] يضاف إلى ذلك الحركة الأدبية، والمسرحية التي اضطلع بها أبناء الجاليتين المصرية والشامية، الذين كانوا بالسودان في تلك الفترة، فضلًا عمَّا توافر من نوافذ أخرى مكنت السودانيين من الاتصال بالعالم الخارجي، والتعرف على الفكر، والأدب الحديث.[٣] وقد ساعدت تلك الأجواء المعرفية السودانيين على التفكير في مستقبل بلادهم، فنشأت الجمعيات الأدبية، وتكونت أندية المتعلمين من الخريجين، وانتشرت فرق المسرح التي شكلت في مجملها حركة وطنية تناغمت مع نظيراتها في مصر، وعملت على تغيير الواقع السوداني.[٤]

وبفعل هذا التحول المجتمعي الكبير، والمثاقفة الناتجة عن الانفتاح على الآخر، تكونت عقلية سودانية مستنيرة، تتلخَّص في أنَّ الواقع الجديد قاد إلى التخلي عن تبعات الماضي، والانطلاق نحو تحرير الوطن، الذي ما كان له أن يحدث "إلَّا بتحرير الإنسان، وفكره، فكانت الدعوة إلى تحرير الوطن، وتحديث المجتمع، وتطوير الفكر، والفن تسير جنبًا إلى جنب مع الدعوة إلى تحرير المرأة، ونشر التعليم، ونبذ القبلية، وقيام التنظيمات العمالية".[٥]

وقد مهَّدت مقالات الأديب السوداني حمزة الملك طمبل لتجديد الأدب السوداني، وحملت دعوته التي قدمها في كتاب (ديوان الطبيعة) و(الأدب السوداني، وما يجب أن يكون عليه) أفكارًا اقتفي فيها أثر مدرسة الديوان، وأظهرت تأثره العميق بصاحب المدرسة عباس محمود العقاد.[٦]

ويعتدُّ بشير عباس بدعوة محمد أحمد المحجوب، ويعدها ضمن أفضل التجارب النقدية السودانية، وأكثرها نضجًا، وهو أمر لا يختلف عليه اثنان، فما قدمه المحجوب للأدب، والفكر، والثقافة في السودان مقدَّرٌ، انتهج فيه نهجاً علمياً، وميزته رصانة اللغة، وسلاسة الأسلوب، وعمق الفكرة التي بنى عليها كتابه، وسعة الاطلاع التي لم تقف بصاحبها عند كتب التراث بالمكتبة العربية، فتجاوز إلى قراءات في الثقافات الأجنبية التي عرف المحجوب الطريق إليها،

---

(١) منها كتاب طبقات ود ضيف الله، ومنشورات المهدي.

(٢) كانت الصحف، والمجلات المصرية تمثل رافدًا ثقافيًا، يسهم في الحركة الأدبية، والفكرية، والثقافية بعامة، وقد كانت تصل السودان الكثير من المجلات منها: المقطم، والرسالة، والبلاغ، وغيرها.

(٣) عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص١٣- ١٤.

(٤) السَّابق، ص١٤، ويشير إلى أنَّ تجاوب الثورات في وادي النيل دليل على تجاوب حركات النضال المشترك بين الشعبين، وهو ما يؤكده خروج قوات الاحتلال من البلدين بعد قيام ثورة يوليو في العام (١٩٥٢م) في مصر، ومما يشير إليه الكاتب هنا أنَّ هذا الحراك رافقته بوادر نهضة وطنية على المستويات: الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، نتجت عنه تيارات سياسية، وفكرية متعددة أهمها: التيار التقليدي المحافظ، في السياسة والفكر، والتيار الليبرالي المتحرر، في السياسة والفكر، اليساري الثوري، في السياسة والفكر.

(٥) ينظر عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص١٦.

(٦) السابق، ص١٧.

وتلقاها من مظانها؛ لِمَا توافر له من إلمام تام بالإنجليزية، ومعرفة بفنونها، تشهد له بذلك منابر الأدب والنقد والسياسة، ويُعَدُّ كتابه (نحو الغد) الذي جمع مقالاته بمجلتي النهضة، والفجر (١٩٣٢-١٩٣٧م).[١] من أميز الكتب السودانية التي أسست لنهضة فكرية، وأدبية ضمن الأقلام السودانية التي تأثرت بنهضة بلاد المشرق العربي.

ولعل البحث بهذا السرد يقترب من تيارات النقد السوداني الداعية إلى قومية الأدب السوداني، والمعبِّرة عن روح الأمة السودانية، ووجدانها، والمؤثرة في ذات الوقت على أشكال التعبير الأدبي، والروائي منه على وجه التحديد، وكأنَّ الرواية "ولدت لتعبِّر عن الظروف الفكرية، والاجتماعية، والسياسية".[٢]

وقد ذيَّل بشير عباس كتابه ببليوجرافيا الرواية الواقعية في السودان، مرتبة بحسب تواريخ نشرها؛ بغية إعطاء صورة عامة عن طبيعة، ومراحل تطور الرواية في تسلسل موجز تضمَّن أهم مصادر المعرفة المكونة للموضوع عنوان هذا البحث، ولخص حصيلة الرواية السودانية من الاتجاه الواقعي.

٢-١ القيمة العلمية لرؤية بشير عباس للاتجاه الواقعي في الرواية

بثَّ بشير رؤيته في مُؤَلَّف توافر على قيمة علمية كبيرة، قوامها ما حوى من عناوين مهمة، وما ناقش من قضايا مؤثرة تتصل بروائيين لهم تأثير في مسيرة الرواية السودانية، وتبدو براعة بشير في الاسترسال باستفاضة غير مخلة، لا يكاد يعثر معها المتلقي فيما كتب على فقرة تند عن الفكرة الرئيسة، فالكتاب في جوهره وحدة نصية مترابطة، قوامها فقرات متماسكة، ونسيج متوافق تقوده معرفةُ الدكتور بشير بالمحتوى، ويقدِّمُه أسلوبٌ علميٌّ يكشف عن أهم مميزات بناء الرواية الواقعية.

ويضم المُؤَلَّف أسماء بارزة في مجال كتابة الرواية في السودان، منها على سبيل المثال: الطيب صالح، وإبراهيم إسحق، وأبو بكر خالد، وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات في مجال الرواية السودانية قليلة جداً، إذا ما قورنت بالدراسات التي تناولت الشعر، وهي على قلتها لم تهتم بدراسة الاتجاه الواقعي، مع أنه الأكثر تأثيرًا في حركة الإبداع الروائي في السودان، وقد كُتبت فيه روايات مهمة.

احتفى بشير عباس كثيرًا بالطيب صالح، الكاتب الذي بلَغ بفنه مبلغًا أوصله العالمية، فصار معروفاً. وكذلك اهتم بتجربة الروائي إبراهيم إسحاق، فقدَّم بتناولها خدمة كبيرة للأدب الروائي

---

(١) السابق، ص١٧، وعجب الفيا، عبد المنعم، (٢٠٢١م) "محمد أحمد محجوب مفكرًا وناقدًا أديبًا وشاعرًا" صحيفة التحرير، (٢٨ يوليو ٢٠٢١م).

(٢) ينظر عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص٢٠.

في السودان، فإبراهيم إسحاق وفق هاشم ميرغني كاتب كبير، لا يستطيع المتلقي الإحاطة بتنوُّع المشهد الروائي السوداني مالم يُشَر، ولو بإيجاز إلي واحد من أهم المشاريع السردية، ليس في السودان فحسب، وإنما في العالم بأسره، وهو المشروع السردي الشاهق للقاص الروائي إبراهيم إسحاق (مهرجان المدرسة القديمة، وحدث في القرية، ووبال في كليمندو، وحكايات من الحلالات)، وهو مشروع لم يحتل أبداً مكانة في السرد العالمي لأسباب عِدَّة منها أنَّ كل أعمال إبراهيم إسحاق نشرت، ووزِّعت، وقرئت محلياً، ولم تتح لها فرصة النشر عبر دور عربية.(١)

وقد حرص بشير على دراسة أهم الروايات السودانية، وأعطى تصوُّرًا شاملًا لها، وبسط القول عن الرواية الواقعية في السودان، وعمل على تحرير مصطلح الواقعية، والتمس علاقة الواقعية بالمذاهب الأخرى، وبيَّن أنواعها، وتتبَّع صورها، ووقف عند بناء الحدث في الرواية السودانية الحديثة، واستطرد في توضيح المفهوم النظري القائم على وحدة الحدث الروائي، وحاول إيجاد تفسير لمعنى الإيقاع في الرواية، وناقش جملة القضايا الفكرية الواردة فيها، مع عناية منه خاصة بتحديد مصادر الرواية الواقعية، وبيان قضايا الحدث الروائي، والتوسُّل إلى معالجة القضايا بين الواقع، والصورة الروائية بأساليب علمية.

وقد أفرد – في مؤلفه – مساحة للدراسة التطبيقية تناول عبرها بناء الحدث الروائي، واسترسل في توضيح السمات الفنية المميَّزة للرواية الواقعية التقليدية، واستقصى العلاقات البنائية المكونة للعمل الفني، محاولًا الكشف عن الخطوط العامة للرواية، وملتمسًا العلاقات الجزئية، والكلية المكونة لها، والرامية إلى تحديد الأدوات المعينة على تحليلها، وبسط جملةً من القضايا الفكرية، المتعلقة بالحدث الروائي، وناقش قضايا الفقر، والمرأة والتخلف الاجتماعي، والريف، والأخلاق، والجذور، واستعرض بعضها تحت عنوان العلاقة بين الواقع والصورة الروائية.

وتبدو قيمة الكتاب في تنوَّع الموضوعات التي شغلت حيِّزًا مقدرًا، لا سيما ما تناول بناء الشخصية، وما ناقش أحداثها على عدَّة مستويات منها: الإيجابي، والسلبي، والفردي، والنموذجي، وفيما حوى من مساحة ألمع فيها الكاتب إلى الشخصيات بأبعادها الإنسانية، وغير الإنسانية التي ظلت تقوم بأثر مهم في الرواية، وإن لم يبد ذلك بوضوح للقارئ، مثلما توسَّع في تتبُّع حركة الطيور، والحيوانات في بعض الروايات، وأشار إلى أدوارها الرمزية الفنية الماثلة في إرشادها إلى مدلولات حركة الكائن الإنساني في الرواية.(٢) وقد تناول بشير ذلك في سياق حديثه عن التصوير الدِّرامي، واستدعى المفاهيم المتعلقة بصورة البطل، وسَرَدَ تفاصيل البناء الملحمي، والدرامي للشخصية في الروايات الواقعية الجديدة تحت عناوين مختلفة، من بينها:

---

(١) ينظر الحاج، هاشم ميرغني، (٢٠٢٠م) "الرواية السودانية الجديدة تزدهر كاسرة مركزية الصوت الواحد".
https://www.independentarabia.com/node/174536

(٢) ينظر عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص١٤١-١٤٢.

بناء الشخصية، وتقنية التقابل، والصورة الجانبية، وأثر الأسماء في بناء الشخصية، متخيّرًا نماذجه التي بنى عليها دراسة هذا الجانب من روايات الطيب صالح، مفيدًا من تطوُّر أساليب الطيب صالح في بناء الرواية بعامة، وما يحمله بناء الشخصية عنده من أبعاد تجديدية على مستوى: السرد، والوصف، والحوار، والمنولوج الداخلي، ومناجاة النفس، والحلم، والرمز، ومن الثابت أنَّ الطيب صالح تجاوز في رسم شخصيات أعماله نقل الواقع اليومي إلى التفاصيل الجوهرية، مؤكداً "مقدرة الكتَّاب الكبار على خلق شخصيات نموذجية، وحالات نموذجية، تتجاوز الملاحظة للواقع اليومي، ومؤكدة أنَّ المعرفة العميقة للحياة لا تنحصر أبدًا في معاينة الشأن اليومي، بل إنها تقوم استنادًا إلى استيعاب الملامح الجوهرية".(١)

وينفذ بشير عباس إلى الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية فيوليها نظرةً جوهرية موضوعية شاملة، تستقصي الظواهر المختلفة، وتنفذ في وعي إلى البواعث الحقيقية التي ينطلق منها العمل الفني، فالواقعية أقرب إلى حياة الناس، وتجد مكانها في السرديات بصورة لافتة؛ لما تتسم به من تسجيل للأحداث تكشف عنه الظواهر الاجتماعية، وتظهرها العادات والأخلاق، التي تتبناها الشخصيات ذات الأدوار المتباينة المعبِّرة عن الخير والشر في مجتمع الرواية.(٢) ويقصد بها ما ينطوي عليه الواقع من عوالم مثيرة للدهشة، يوفرها نقل الواقع بغرابته، وشذوذه، من دون تدخل منفصل تمليه مخيلة الكاتب، التي لا تستطيع تجاوز ما يزخر به الواقع من غرائب، وتناقضات.(٣)

والحديث عن القيمة العلمية لرؤية بشير عباس للاتجاه الواقعي يؤرِّخ لجهد علمي مقدَّر، ويجلي النِّقاب عن تأملات نقديةٍ مؤثرة، ويفتح الباب لقراءة واعية ومهمة في تاريخ الرواية السودانية، والاتجاه الواقعي بالرغم من أهميته لم يخل – حال معظم المؤلفات السودانية التي طبعت في مطابع السودان – من أخطاء الكتابة، وإشكالات الطباعة، التي خصمت من قيمة سفر ماتع، وشوَّشَت على القارئ، وهي علَّة قديمة، لازمت مسيرة النشر السوداني على مدى سنوات طويلة، ومكَّنت لعوائق حالت دون تجاوز العثرات المزمنة للطباعة، وقضية الطباعة والنشر داخل السودان شائكة، تحمل في طياتها أعمق الإشكالات التي تواجه النتاج الفكري والإبداعي، وتحتاج إلى دراسات جادة، فمعظم الأعمال السودانية تضيع بين إهمال النشر من قبل مبدعيها، أو إيداعها دور نشر تفتقر إلى أبسط متطلبات، ومقومات جودة النشر، وهي قضية يستحسن

---

(١) لوكاتش، جورج، (١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م)، دراسات في الواقعية، ترجمة: د. نايف بلّوز، طبعة ثالثة، لبنان، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص٣٤.

(٢) ينظر الوهابي، عبد الرحمن محمد، (٢٠١١م) "إستراتيجية السرد وواقعية الرواية المعاصرة في السعودية" مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية، (م١٩ع١)، ص٤.

(٣) ينظر أبو أحمد، حامد، (٢٠٠٣م)، الواقعية السحرية في الرواية العربية، طبعة أولى، عمان، المجلس الأعلى للثقافة، دار سندباد للنشر، ص٩.

منحها أهمية، ومناقشتها على نطاق علمي واسع، يلتمس معالجةَ مشكلةٍ أقعدت بالنشر، وحجبت الكثير من الدراسات المهمة، ونكتفي هنا بالإشارة، فالأمر لا تخطئه عين القارئ، الذي لا يفسد عليه متعة القراءة غير ما يلقى من كثرة الأخطاء، وهي ملاحظة لا تقتصر على كتاب بشير عباس، وإنما تتعداه إلى غيره، ويرى الناقد هاشم ميرغني أنَّ مشكلة الأخطاء اللغوية، والتحريرية، والطباعية تعد من الملحوظات المتكررة التي رافقت مسيرة الكتاب السوداني عبر تاريخه الطويل، مشيرًا إلى أنَّ كتاب ببليوغرافيا الرواية السودانية للأستاذ نبيل غالي لم تخل جميع صفحاته من الأخطاء، فهي تظهر من الصفحة الأولى إلى الأخيرة.(١)

٣-١ قضايا الواقع في الرواية السودانية

نحت حركة الواقع السوداني – عند معظم كتاب الرواية– نحوًا تسجيليًا نقل ما تعجُّ به الحياة من صور الظلم، وما رافقها من حيف اجتماعي على امتداد تاريخ الاحتلال، وما تلاه إبَّان الاستقلال، والحقبة التي تلته، ويعد بشير عباس رواية (موكب الحيارى) لعبد الفتاح صالحين نموذجاً مهماً للروايات التي عكست الواقع، وفصَّلت جوانبه بصورة مباشرة، وانتقدت صور الظلم التي سادت المجتمع السوداني، سيما المتصلة بالتمييز العرقي، والنظرة العنصرية المتعالية، وما يتبع من تصوير معاناة بعض الناس جراء الصراع الطبقي، فكان أن احتملوا صنوفًا من الذل، والابتزاز، وقاسوا أشكالًا من الحرمان والفقد، وما نتج عن كل ذلك من استغلال.

وقد تدخَّلت النظرة التشاؤمية التي وسمت رؤية الكاتب، وحدَّدت شخصيات الرواية، ورسمت طريقاً أوردها مورد الهلاك، وأفضى بها إلى نهاية مأساوية قاتمة، وهي نظرة ممتدَّة أملت على الكاتب اختيار (موكب الحيارى) عنواناً لروايته.(٢) وفي تقدير الباحث أنَّ هذا لم يكن ناتجًا عن نظرة تشاؤمية، وإنما هي سمة المرحلة التي تعبر عن الواقع الحقيقي الذي عاشه السودان، وانعكس على مسرح الرواية الواقعية، وما يؤيد هذا أنَّ معظم الروايات وقتها حملت عناوين لا تبتعد كثيراً عن سياق رواية موكب الحيارى، على سبيل المثال روايات: (إنهم بشر) لخليل عبد الله الحاج، و(النبع المُر) لأبي بكر خالد، و(صراع) لعبد الفتاح خضر، و(مأساة القبور) لعبد الفتاح محمد عثمان، و(الفراغ العريض) لملكة الدار محمد، و(غربة الروح) لإبراهيم الحاردلو، و(الانتقام الرهيب) لإبراهيم مدثر، و(دموع القرية) لفضيلي جماع، وهي عناوين تشير في مجملها إلى الواقع الذي ساد زمن الرواية، وعبَّرت عنه بصدق، وهي تعالج قضايا الطبقة الفقيرة، ولكل رواية من هذه الروايات قصة تروي تفاصيلها، وتصوِّر ما يلاقيه أشخاصها من معاناة، وما يعيشون من ظروف قاسية افتقدوا بسببها العيش الكريم.

---

(١) الحاج، هاشم ميرغني، (٢٠١٧م)، "تحليل ومناقشة ببليوغرافيا الرواية السودانية ١٩٤٨-٢٠١٥م"، (فضائية S ٢٤)، برنامج الوراق، تقديم غسان علي عثمان ٢٠١٧م، الدقيقة ٣٧.

(٢) ينظر عباس، بشير عباس، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص٦٥.

وقد اتَّبع كاتب رواية (موكب الحيارى) الأسلوب التسجيلي في نقل أحداثها، فانساق وراء ذلك، وشغل نفسه بتدوين الملاحظات الدقيقة، التي صرفته بدورها عن تأمل الواقع، وكان حقه أن يعمد إلى التحليل، الذي يفضي إلى اكتشاف العلاقات بين الأشياء، ويوثق عرى البناء الفني للرواية، إذ الفن في حقيقته انعكاس للواقع، وهو في ذلك ليس انعكاسًا سلبيًا، وإنما هو إسهام في تعرف الواقع، وسعي نحو تغييره، وتخطِّى للمعطيات الثابتة وصولاً به إلى قيم ترتقي بالإنسان، وتؤدي به إلى بلوغ الغايات المشروعة التي توفِّر حياة كريمة، وواقعًا غير الذي فرضته ظروف التخلف الفكري، والانحدار الطبقي.(١)

ويرصد بشير عباس نماذج تسجل فيها الرواية صورًا للفساد الذي استولى على حياة الناس، وطبع واقعهم السياسي، والاجتماعي، ووسمه بالظلم، وقد اتخذ لذلك أمثلة من رواية (مأساة القبور) التي جسَّدت صور الفساد، وانعدام العدالة، المتمثلة في صاحب المشروع، وطبيب المستشفى، وتاجر القرية الانتهازي، ويصوِّر استغلالهم جهل فقراء القرية، وحاجتهم، وافتقارهم لضرورات الحياة، وفي الناحية الأخرى تبدي الرواية صورة المثقف وهو يحمل لواء التغيير، ومناهضة قوى الشر، والفساد، غير أنَّ بصيص الأمل الذي بثَّه فشل في الوصول بالقرية إلى الانعتاق؛ لتبقى الأحلام حبيسة الواقع، وتستمر المعاناة.(٢)

ويربط بشير بين روايتي الفراغ العريض، والقفز على الحائط لأبي بكر خالد؛ لما يرى بينهما من شبه في أحداثهما، بالرغم من أنَّ الروايتين لم تكتبا في زمن واحد، فالأولى أُلِّفت في الخمسينات، بينما شهدت السبعينات كتابة الأخرى، وقد رأى بشير عباس في اتفاق أحداث الروايتين دليلًا على أنَّ المجتمع بحسب التصوير الروائي لم يصب تقدمًا ملموسًا على الصعيد الاجتماعي طيلة هذه المدة، فصراع الطبقات الذي تناولت رواية الفراغ العريض أشتاتاً منه، ركَّزت عليه رواية الحائط القصير، وتبنى الكاتب مناقشته من منظور آيديولوجي محدَّد يؤمن بحتمية الصراع بين الطبقات، ويعكس موقف الكاتب، ونظرته للواقع، في خضم صراع محتدم بين عالمين: عالم بسيط يحفُّه الفقر، وتزري بأهله الأيام، وآخر تقوده فئة رأت في واقعها الاجتماعي الميسور، وسلطتها مَيزةً تجعلها تتحكم في مصير طبقةٍ حسب ظنها هي الأدنى، فلا تستحق بذلك إلا أن تعيش على هامش الحياة.(٣)

وتدور أحداث معظم روايات تلك الفترة حول ذات المحاور السابقة، ويتوقف بشير عند رواية (بداية الربيع) لأبي بكر خالد، ويروي الحيرة، والاضطراب البادِيين على مواقف بطل الرواية من واقع انتمائه الفكري، الذي عاش معه صراعاً عنيفاً، تمدَّد ليغطي مساحة أوسع من الرواية،

---

(١) السَّابق، ص٦٦-٦٧.

(٢) ينظر عباس، بشير عباس، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص٦٧-٦٨.

(٣) السَّابق، ص٧٠-٧١.

وابتعد الكاتب في تسجيل ملامح الصراع الفكري، والاجتماعي، والسياسي الذي ساد بعد الاستقلال، مستصحباً أزمة المثقف السوداني، وتعد رواية النور عثمان أبكر (بداية الربيع) البداية الحقيقية للرواية السودانية[١] ويصنِّفها بشير عباس ضمن الروايات الواقعية الاشتراكية، ويرى أنها ابتعدت نوعًا ما عن جو التشاؤم الذي ساد الروايات الأخرى في زمانها، وتكاد تتفق مع رواية (الذَّبع المُر) في مناقشة أزمة المثقف، وفيها إثارة قوية لقضايا النضال الوطني، ومحاربة النفوذ الأجنبي.[٢]

ويستقصي بشير أحداث الرواية الواقعية عند إبراهيم إسحاق، فيخلص إلى وجود رابطٍ مشتركٍ بين رواياته يتمثل في وجود غريب يهدد البلدة، يجهد الأهالي في مقاومته؛ بغية إخراجه من أرضهم، وقد جعل الكاتب الغريب في رواية (حدث في القرية) تمساح يهدِّد القرية، وفي رواية (أعمال الليل والبلدة) كان شخصًا يدعى فلقة، وفي (مهرجان المدرسة القديمة) عبد الباري، فجميعها أسماء غير مرغوب في وجودها؛ لهذا يدور الصراع حولها بغية إبعادها، وفوق ذلك تطرح الروايات قضايا مختلفة تعكس ما يدور في المجتمع من أحداث توثق لها صفحات الروائيين، وتخرجها في مشاهد يجسدها الصراع الذي يحتدم في الرواية، مع ملاحظة بشير عباس أنَّ ظاهرة العنف في روايات إبراهيم إسحاق تسيطر على الشخصيات، حيث كان العنف في جميع الروايات وسيلة لحسم جميع المشكلات، وبين جميع الفئات في القرية، حتى الأطفال يمارسون العنف بصورة شرسة، ولو تجرَّد الكاتب من مشاعره الخاصة، وعاطفته تجاه أهله أوان كتابة أحداث روايته؛ لأمكنه رؤية الواقع بصورة أفضل، ولتمكن من كشف أسرار معاناة أهل البلدة، وصب ذلك في مصلحة كتابته.[٣]

توقَّف بشير عباس عند تجربة إبراهيم إسحاق وجعل خاتمة حديثه عنها إشارات عن العلاقة بين (عرس الضو) في رواية مهرجان المدرسة القديمة، و(عرس الزين) في رواية الأديب الطيب صالح، وحاول التماس أوجه الفروق العميقة بين الروايتين، فالعرس عند الطيب صالح طابعه رمزي، ومغزاه اجتماعي يستشف منه بشير دلالات التئام الشمل، وتجاوز الخلافات، وتناسي ما بقي منها، على خلاف (عرس الضو) الذي يحمل طابع العزلة، ويشير إلى الانزواء، والابتعاد عن الآخرين.[٤]

---

(١) ينظر حامدين، حماد محمد، (مارس٢٠٢٢م) "البعد الآثاري في الرواية السودانية، رواية مانفستو الديك النوبي لعبد العزيز بركة ساكن أنموذجًا" مجلة القُلزم العلمية للدراسات الآثارية والسياحية، (العدد الرابع)، ص١٧١.

(٢) ينظر عباس، بشير عباس، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص٧١-٧٢.

(٣) ينظر عباس، بشير عباس، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص٧٢ : ٧٤.

(٤) ينظر السابق، ص٧٤.

واســـتفاض من بعد في تقديم الطيب صـــالح من واقع أعماله التي تحقق له بها شـــهرة عربية وعالمية، بالرغم مما اتســـمت به لغتها من اهتمام بالعامية الســـودانية في بعض أجزائها، وما عالجت من قضـايا محلية ارتقت ببعدها الإنسـاني، ويشـارك الطيب صـالح في معالجة قضـايا بيئته الشمالية إبراهيم إسحاق، الذي دارت أحداث روايته في منطقته بغربي السودان (دارفور)، وهي قضـــية مطروحة في كثير من الآداب، ولا يرى فيها كثير من النقاد ما ينقص من قيمة التجربة، وهو ما يؤكده بشـــير عباس من أنَّ هموم الإنســـان، وآماله في الحياة واحدة مثلما للتجارب البشرية سمات متقاربة إن لم تكن واحدة.(١)

وقد أحسن بشير عباس قراءة انعكاس واقع الحياة في السودان على رواية الطيب صالح، ورأى أنَّها إلى جانب الروايات الواقعية الأخرى أفلحت في تناول قضـــايا من صـــميم الواقع المعيش، وأنَّها انتصرت لقوى الخير، وأكَّدت قدرتها على تصحيح المسار، وإحداث التغيير.(٢)

ويستجلي بشير القضايا الفكرية بتحليل العناصر المكونة للعمل الأدبي؛ بغية الكشف عن أسرار البناء الفني، وسعياً لاستنطاق الحدث، والشخصية، ووحدتي الزمان والمكان، واللغة، وغيرها من عناصر بناء الرواية، وهو في ذلك يفصِّل القول عن بناء الحدث، أو ما يعرف بالحبكة، معرِّفاً بمفهوم الحدث، ومتتبِّعاً مراحل تطوُّره، وباســـطاً القول عن تجلِّي عبقرية الكاتب في ابتكار الأحداث الواقعية التي تضمنتها الرواية دون نقل الواقع نقلاً مجردًا.

ويعد الطيب صـــالح من بين الروائيين الذين اهتموا في إبداعهم بتطوُّر الأحداث، في بناء فني أوثق رباطها، وجعلها تبدو متَّسِقةً، وتقدِّم فنًا مدهشًـا جاذبًا يحاكي الواقع الإبداعي المُتخيَّل، ويقوم فيه كل جزء من الحدث بدور مؤثر، وهو دور بالضـــرورة لا يملك الكاتب فيه غير أن يكون قاصـًا مبدعًا، يترك لأحداثه، وشـخوصـه حرية التحرك في المسـرح الذي أعدَّه ليحتوي روايته، "وهو في ذلك يعتمد آلية الاســـتقصـــاء، والتحرِّي، والإحاطة الكاملة بكافة تفاصـــيل الحدث".(٣)

ويفرد بشير عباس مساحة يورد من خلالها أهم القضايا التي تناولتها الرواية السودانية، منها(٤):

---

(١) ينظر السابق، ص٧٤-٧٥.

(٢) ينظر السابق، ص٧٩-٨٠.

(٣) الملك، هويدا محمد الرَّيح المك، (د – ت) البنية الســـردية في الرواية الســـودانية، كلية الآداب- جامعة الطائف، ص٧٠، الموقع على الشبكة:

https://sardiat.journals.ekb.eg/article_204367_00cb49d75a6557946056eb218569fb.pdf

(٤) ينظر عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص٦٠-٦٦.

قضية الفقر:

يعدُّ الفقر أحد أهم المحاور التي دارت حولها كثيرٌ من الروايات، وعبَّرت من خلاله عن طبقة لها حضورها الفاعل في الرواية السودانية، وتطلعاتها، ولها تأثيرها القوي من خلال صراعها المستمر من أجل تحقيق رغبات شريحة مقدَّرة في التحول، والانعتاق، وتجاوز الواقع المرير الذى تعيشه هذه الفئة، وما يُلقي به من تبعات العوز، والإعسار، ويخلص بشير إلى أنَّ الرواية الواقعية في السودان وريثة التراث الشعبي المحلِّي[١] وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ قضية الفقر ارتبطت بأدب الهمباتة في التراث الشعبي السوداني، ويقابله أدب الصعاليك في الأدب العربي، والهمباتة جماعة من الشعراء السودانيين، وجدوا أنفسهم في دائرة الفقر، واشتهروا بالنهب، والسرقة، والسطو، والمغامرة؛ لسد حاجتهم، وعرفوا بين الناس بالفروسية والكرم والشجاعة، وبالرغم من اعتمادهم على السطو، إلَّا أنَّ لهم ثقافة خاصة، يعتدُّون فيها بقيمهم ومواقفهم، فهم شجعان لا يغيرون على ضعيف، ولا يغدرون، وإذا أصابوا غنيمة وزَّعوها على المحتاجين، ولهم دوافع اجتماعية، وأخلاقية تقودهم إلى الإغارة، والسلب يصوِّرونها في أشعارهم، ومن أشعر شعراء الهمباتة في السودان: طه الضرير، والطيب ود ضَحَوِيَّة، وتعزز الروايات التاريخية ما ذهبنا إليه، وتفصل القول عن تاريخ الهمباتة، وأساليب حياتهم[٢].

قضية المرأة والتخلف الاجتماعي

للمرأة أثر كبير في توجيه بناء الرواية الواقعية السودانية؛ وذلك لما لها من مقام في واقع الحياة السودانية، ولما لها من حضور شهدته بدايات الكتابة الروائية التي وثقت لتاريخ، وحضارة السودان، فقد جسدت الروايات السودانية أحلام المرأة وتطلعاتها، وتناولت مسيرة نضالها في التعليم، وكفاحها من أجل الظفر بحقوقها المشروعة في الحياة من تعليم، وعمل، ومشاركة في الحياة اليومية، وما يتبع من حقوق إنسانية، واجتماعية، وسياسية، وجملة ما طرأ على المجتمع السوداني من عوامل أدَّت إلى تردي الحال الاقتصادي الذي ألقى بظلاله على حياة السودانيين، وما رافق ذلك من مشكلات تجذرت حتى عصفت ببعض القيم الثابتة، وقد حملت كثيرٌ من الروايات الواقعية دعوات تقضي بدعم المرأة في سبيل نيل حقوقها، ويوافق بشير عباس الناقد طه وادي في قوله الذي يذهب فيه إلى أنَّ "رواية الفراغ العريض التي كتبتها ملكة الدار محمد في أوائل الخمسينات، أقوى دفاع عن حقوق المرأة من وجهة نظر سيدة"[٣] ناضلت بالكلمة من أجل إعطائها الحرية التي تتيح لها حقوقها في العيش الكريم، ويرى بشير عباس أنَّ ملكة الدار

---

(١) ينظر السابق، ص٥٩.

(٢) ينظر إبراهيم، محمد إبراهيم، (٢٠١٩م)، "الهمباتة أسلوب حياة منقرض"، صحيفة الراكوبة، ٥ يناير ٢٠١٩م، الرابط على الشبكة:

https://www.alrakoba.net/٣١٦٥٠٩

(٣) عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص٦١.

يحسب لها دورها الرائد في الدفاع عن المرأة السودانية، ونظرتها العميقة في الرَّبط بين قضية المرأة، وحريتها، وحرية الوطن، ومناقشة كثير من الظواهر في سياق ما بدا من تخلف اجتماعي حملت عليه عادات، وتقاليد، وأوجدته ظروف اجتماعية سالبة، وجسَّدته روايات منها: (النبع المر) لأبي بكر خالد، و(بندر شاه ضو البيت) للطيب صالح، و(بداية الربيع) لأبي بكر خالد، و(إنهم بشر) لخليل عبد الله.[١]

قضية الريف

توزعت الرواية الواقعية السودانية بين معالجة قضايا التمدُّن بكل ما يطرأ من إشكالات، والريف بأشكاله المتعددة، وقد يرسم الكاتب صورًا تريك بيئة الريف، وتحكي تفاصيل الحياة فيه، وتصف حتى مصطلحاته الخاصة، مثلما ورد في رواية أعمال الليل والبلدة لإبراهيم إسحاق، التي يصوِّر فيها مشهدًا يتضمن القطية[٢]، والقصب[٣]، بقوله "في (قُطِّيَتِها) ركن كنت أعرف إنها لا تعرف كل ما يوجد فيه ... تكوَّرْتُ بكتفي على الذي عند بطني، وتعجَّلتُ الدخول عنها... وقفت في ظل راكوبتها أنظر إلى رقدتها محاولًا أن أحدد ماذا أفعل بعدها ... باغتتني بضحكتها تلك الليِّنة المتوزِّعة على التتابع الطريف"[٤] وتتمدَّد قضايا الريف في الرواية السودانية، لتغطي المشكلات المتصلة بالقرى من منازعات تحمل طابعًا متصلًا بالبيئة الفقيرة، التي غالبًا ما يكون منشؤها الجهل والجشع، ونتيجتها الاستغلال، وقد أورد بشير عباس في معرض مناقشة قضية الريف أنَّ الصور التي حملتها الرواية الواقعية تتجسد في أمثلة منها سطوة مستغلي الفرص من تجار ورأسماليين، وأصحاب مشاريع زراعية، واستغلالهم الفلاح البسيط، ويرى بشير أنَّ رواية (مأساة القبور) لعبد الفتاح عثمان، ورواية (حدث في القرية) لإبراهيم إسحق، ورواية (عرس الزين) للطيب صالح تعد ضمن أهم الروايات التي جسَّدت سطوة ذوي النفوذ. المشار إليهم على الفلاحين، وعالجت قضية الريف والفلَّاح.[٥]

قضية الأخلاق

تناولت الرواية الواقعية قضية الأخلاق السودانية، وناقشت ما يتصل بها من ممارسات زرعها الاستعمار في المجتمع السوداني، ولم يكن ذلك فيما تضمنت الروايات الأدبية وقفاً على مجتمع

---

(١) ينظر السَّابق، ص٦١-٦٢.

(٢) القطية: مسكن تقليدي شعبي سوداني، يصنع من مواد طبيعية مثل: الطين، و(القش) والقصب.

(٣) القصب: نبات له سيقان طويلة، يستخدم في بناء القطية، والمساكن التقليدية، يوفِّر حماية من الشمس، وتتسم أجواء المساكن التي تسقف به بالاعتدال.

(٤) إسحاق، إبراهيم، (١٩٧١م)، أعمال الليل والبلدة، طبعة أولى، الخرطوم، دار الطباعة، قسم التأليف والنشر – جامعة الخرطوم، ص٨٢.

(٥) ينظر: عباس، بشير عباس، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص٦٢.

المدينة، فمجتمع القرى كذلك سادته قضايا متصلة بالفسق، والمجون، وإدمان الخمر، وغير ذلك مما عبَّرت عنه الرواية السودانية، على أنَّ المصادر تشير إلى أنَّ "التقاليد السودانية الأصيلة إنما توجد في المناطق الريفية التي لم تتصل بعد بشرور حضارة القرن العشرين"[١] ومهما يكن من أمر فالواقع السوداني الذي صوَّرته أقلام الروائيين لم يكن بقصد نقل الواقع، أو بغرض الإثارة الرخيصة، وإنما كان لأبعاد سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وقد أبان بشير عباس عن ذلك بوضوح حينما قال: "لم تكن معالجة الجنس مثلاً بغرض الإثارة، أو التشويق، وإنما كان الهدف أعمق من ذلك، فنجد الانحراف في السلوك لدى الفتاة، أو الفتى له دوافعه الاجتماعية، أو الاقتصادية، كما نجد أنَّ الشذوذ الجنسي، أو العجز عن ممارسة الحياة الطبيعية يقوم رمزاً على الشذوذ الفكري، أو العجز السياسي".[٢]

وقد اهتم بتصوير هذه القضايا معظم كتَّاب الرواية الواقعية من أمثال الطيب صالح، وأبي بكر خالد، وملكة الدار محمد.

قضية الجذور

إحدى أهم القضايا التاريخية الشائكة في المجتمع السوداني، وأكثرها تأثيراً في واقعه الممتد منذ الاستعمار – الذي عمل على نظرية فرِّق تسد – إلى يومنا هذا، وهي قضية كما يقول الناقد السوداني مصطفى الصاوي إنَّ "الرواية السودانية استطاعت إبراز المسكوت عنه في المجتمع، وغطَّت فجوات سكت التاريخ عنها، أو أبرزها سطحياً دون النفاذ للوقائع، والتفاصيل، ولكن الرواية استطاعت تسريد التعدد العرقي، والثقافي، وتداعياته"[٣] ويرى هاشم ميرغني الحاج أنَّ الرواية السودانية أثارت إشكالات الهوية في وقت مبكر، فقد تفجَّرت مسألة الهوية في رواية عبد الله الطيب (نوار القطن) التي كتبت في العام (١٩٤٧م)، وتناولت التخريب الاستعماري لبنية المجتمع، وناقشت قضايا أخرى متصلة بما يُدْرَسُ الآن تحت مسمى نظريات ما بعد الاستعمار، وركَّزت على إشكالات التمييز العنصري الذي أوردَ هاشم منه قصة طرد التاجر (أبَّكَر قونا) من السوق من قِبَلَ المفتش الاستعماري، في مشهد وثَّق تواطؤ تجار السوق، وهم يشيعون أبَّكر بشتائم عنصرية.[٤] وربما فات هذا الأمر على عبد الغفار الحسن، وهو يقرِّرُ أنَّ

---

(١) نستام، توري نورد، (١٩٩٦م) الأخلاق السودانية، ترجمة: د. أحمد علي محمد مهدي، طبعة أولى، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ص٨٩.

(٢) بشير عباس، الاتجاه الواقعي، ص٦٣.

(٣) الصاوي، مصطفى محمد، (١٠ نوفمبر ٢٠٢٤م) "تجليات الرق في الرواية السودانية– تسريد التعدد العرقي والثقافي وتداعياته" سلطنة عمان، مجلة نزوى، وزارة الإعلام، (العدد ١٢٩)، ص١١٠.

(٤) الحاج، هاشم ميرغني، (يوليو ٢٠٢٠م)، "أطلس السرد – الهويات المركبة في سرد المنفى" صحيفة مداميك (١٥ يوليو)، الموقع على الشبكة:

https://www.medameek.com .

قضية الهوية لم تكن من القضايا الملحَّة في مرحلة ما قبل الاستقلال (١٩٥٦م)، إذ كانت كل مجموعة تحقق إحساسها بذاتها، وحريتها بالشكل الذي يجعلها راضية عن نفسها وسط هذا الخليط العرقي المتجانس.(١)

وقد تبنَّت الرواية الواقعية في السودان قضايا تتعلق بالجذور، وتحكي واقع مشكلات المكوّن السكاني الناتج عن اختلاط الدماء العربية بالدماء الإفريقية في كثير من مناطق السودان، والمفضي إلى اختلاف السحنات، وهو ما صوَّرته أقلام الروائيين السودانيين من أمثال الطيب صالح الذي تبنَّى في أعماله: (بندر شاه، ضو البيت، ومريود) قضايا تتعلق بالجذور الاجتماعية، والثقافية، وما نتج عنها من تكوينات سودانية متباينة، وهناك روايات أخرى على رأسها (موكب الحيارى) لعبد الفتاح صالحين، و(إنهم بشر) لخليل عبد الله الحاج، و(مأساة القبور) لعبد الفتاح محمد عثمان، ويُرجع بشير عباس ذلك إلى سياسة الاستعمار التي جعلت مناطق غرب، وجنوب السودان تعيش عزلةً نفسية، الأمر الذي جعلهم ينظرون بريبةً لتصرفات أبناء الشمال، وهو ما "عمَّقَ الإحساس بالمرارة عند أبناء هذه المناطق الذين يرون أنَّ حقوقهم مسلوبة من قِبل جماعات معيَّنةٍ تقف أمام تطلعاتهم الاجتماعية، والإنسانية، وتعدُّ روايات حدث في القرية، وأعمال الليل، والبلدة، ومهرجان المدرسة القديمة لإبراهيم إسحاق مثالاً على هذا النمط الذي يثير قضايا إقليمية خاصة ..."(٢).

وقضية الجذور من أعمق القضايا التي شكلَّت حضورًا مقلقًا في المخيِّلة السودانية، وهي مما عالجته الرواية على وجه لا يكاد يطالعه المتلقي بذات الوضوح في غيرها من المنابر العامة الأخرى، وهي رؤية امتدت عبر أقلام مبدعي رواد الرواية السودانية ممن أُشير إليهم، وصولاً إلى جيل المعاصرين، وهو ما يؤكده قول مصطفى الصاوي إنَّ العديد من النصوص الروائية السودانية أولت هذا الموضوع عنايةً، واهتماماً، ويمثل برواية عرس الزين التي "أبرزت مجموعةً من المُسْترقين: بخيت الأعرج، وعشمانة الطرشاء، وبيوت الواحة ... ورواية مروان الرشيد الموسومة بـ (مندكورو) جسَّدت العلاقات بين الشمال، والجنوب، في ظل علاقات متأثرة بمرارات التاريخ"(٣) وما طرحه بشير عباس، والصاوي ليس ببعيد عما ذهب إليه هاشم ميرغني، في استدعاء ما انتهى إليه الناقد أحمد عبد المكرَّم، فجميعهم يرون أن مأزق الهوية، والانتماء

(١) محمد أحمد، عبد الغفار الحسن، (٢٠٢٢م)، "أسئلة الهوية السودانية في رواية زوج امرأة الرصاص وابنته الجميلة – لعبد العزيز بركة ساكن" مجلة كلية اللغة العربية – جامعة أم درمان الإسلامية، (العدد الحادي عشر)، (٢٣ صفحة)، ص ٢٨٦.

(٢) عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص٦٤.

(٣) الصاوي، مصطفى محمد، (١٠ نوفمبر ٢٠٢٤م)، "تجليات الرق في الرواية السودانية – تسريد التعدد العرقي والثقافي وتداعياته"، ص١١١.

تجلَّى في خطاب القصّ قديماً، وحديثاً، وأنَّ الرواية تصدَّت بصورة مباشرة لنقل حركة الواقع بما يحمل من ألوان الظلم، والقهر، وبكل ما يفضي إلى شرخ النسيج الاجتماعي.

٤ – ١ البناء الملحمي والدرامي في الرواية الواقعية

انطلق بشير عباس في تناول البناء الملحمي للشخصية في الرواية الواقعية في السودان من مفهوم أنَّ الرواية هي الشكل الحكائي المتطوِّر عن الملحمة، واتخذ من آرائه مدخلاً لالتماس العلاقة بين الرواية، والملحمة اللتين يرى أنَّ الصلة بينهما تقوم على افتراض أنَّ الرواية نوع ملحمي، وترى أوجه الاختلاف بينهما يكمن في أنَّ الرواية نوع من السرد الأدبي الذي يتخذ من أحداث الواقع اليومي مادة يبني عليها عمله الفني، ولا يكاد بشير عباس في ذلك يبتعد عمَّا يذهب إليه النقاد في معرض حديثهم عن النوعين، وعلى ذات النسق يقول إنَّ الأديب الإسباني ميخائيل دي ثربانتيس: "عندما كتب روايته الشهيرة (دون كيشوت) في مطلع القرن السابع عشر، لم يكن يعلم أنه بذلك يؤسس لنمط جديد في السرد الأدبي يقوم على سرد الواقع اليومي المعيش، وأنَّ هذا النمط الجديد الذي ابتكره بشكل عفوي، سيصبح بعد ذلك علامة فارقة تدل على نقلة نوعية في الذوق، والوعي الأوربي".(١)

وعلى عادة بشير في تقديم رؤيته يستقصي جذور المصطلح، والنوع، والجنس الأدبي، فهو يقابل بين الشكل الروائي، والملحمي، ويشير إلى أنَّ طريقة الروائي في تقديم أبطاله تختلف من حيث تعدد الأوجه، ومسايرة الواقع، من خلال الشكل الملحمي الذي يعتمد الشاعر فيه على تقديم شخصية البطل بالطريقة الوصفية التي تضفي عليه مجموعة من الصفات، والقيم، والملامح، وهذا سرُّ البساطة المميِّزة لشخصية أبطال الملاحم التي تحمل صفةً واحدةً لا تتغيَّر، فهي إمَّا خَيِّرةً خيراً مطلقاً، أو شريرةً شرًا مطلقًا، وبهذا فشخصيات الملاحم ليست متجددة حيَّة، وإنما هي ثابته تجسِّد جانباً من صفات السلوك الإنساني المؤطر في نمط واحد، وبالإضافة إلى ما سبق يبرر بشير عباس لالتماسه العلاقات، والفروق بين الجنسين الأدبيين بقوله: "في ضوء هذا ندرس بناء الشخصية في الرواية التقليدية عند الكتاب الذين ظهروا مع بداية ظهور الاتجاه الواقعي ناظرين في الأساليب التي اعتمدوا عليها في بناء شخصياتهم الروائية، حيث إنَّ الدراسة التطبيقية خير وسيلة للكشف عن تلك الأساليب".(٢)

---

(١) فريق ميدان: فن الرواية ملحمة العصر الحديث، الجزيرة نت، ص ١. الموقع على الشابكة:
https://www.aljazeera.net › midan › intellect › literature
للاطلاع على الرواية ينظر: فانتس، سار، (١٩٩٩م) دون كيشوت، ترجمة صياح الجهيم، طبعة أولى، بيروت، دار الفكر اللبناني.

(٢) ينظر عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ–٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص١٥١–١٥٢.

ويناقش بشـــير بناء الشـــخصـــية في عدَّة روايات مبتدئاً برواية (موكب الحيارى) لعبد الفتاح صالحين، التي يرى أنَّ كاتبها لم يوفق في اختيار شخصيات مقنعة، تفلح في إثارة المتلقي، بل جاءت باهتة بعد أن فشل في إسناد أدوار مناسبةٍ لها، وتحريكها في فضاء فنِّي يتبنَّى حواراً داخلياً يرقى بروايته لمســـتوى الأعمال التي تحقق المتعة الفنية، ويلخص بشـــير رأيه في أنَّ شخصيات موكب الحيارى مثلما فشلت اجتماعيًا "فقد فشلت فنيًا حين اعتمد المؤلف على جعل عنصـر الوراثة عاملًا حاسـمًا، في تحديد ملامح الشـخصـية البدنية، والنفسـية، فجاءت كلها متشابهة مكرَّرة، فهي متشابهة في كل صفاتها الجسدية، والنفسية، والسلوكية".[١]

ومجمل القول إنَّ شـخصـيات عبد الفتاح صـالحين تكشـف عن ضـعف الكاتب في تصـوير شخصياته، وسوء تقديره لطبيعة الشخصية الإنسانية، فهو يعلي من شأن الوراثة، ويجعل منها عاملًا حاسمًا في حياة الشخصية، ويهمل ما دونها من مؤثرات أخرى، بل يفصل الشخصية عن محيطها الاجتماعي، فلا تؤثر فيه، ولا تتأثر به، ويرى أنَّ كلَّ شـــيءٍ كسـبته فهو بالوراثة، ولا أثر لثقافة، أو مجتمع في تكوين الشخصية.

ويعرِّج بشير عباس على رواية (مأساة القبور) لعبد الفتاح محمد عثمان، التي يرى شبهًا قويًا بين أسلوب كاتبها، وأسلوب صالحين، وذلك من حيث اعتمادها في وصف الشخصيات على الأسـلوب التقريري، فكلاهما يقدم وصـفًا تقريريًا مباشـرًا يحدِّد معالم الشـخصـية النفسـية، والجسـدية، منذ الوهلة الأولى، ويسـعى إلى وصـف بيئة الرواية، ويرى بشـير أنَّ الكاتب "كبَّل شـــخصـــياته، ومنعها من الحركة، وهو في ذلك مدفوع بنقل الواقع كما هو دون تطوير له، أو تحوير"[٢] هذا مع ما يُلاحظ من التداخل الواضح بين الراوي، والشخصية، وعلو صوت الراوي على صوت الشخصية في أحايين كثيرة[٣].

ويحتفي بشير عباس برائدة الرواية النسوية في السودان الأديبة ملكة الدار محمد، التي يرى أنَّ روايتها (الفراغ العريض) التي كتبت في الخمسـينات أول رواية واقعية فنية ناضـجة، وأنها وإن لم تكن خرجت من الإطار التقليدي في توظيف شـــخصـــياتها، إلا أنها لونت أدواتها في بناء الشخصية، فلم تقتصر على التقديم السردي، وإنَّما توسَّلت بالحوار، والتقابل، والتضاد، وأساليب أخرى مستفيدة من التطوُّر الذي أصابه بناء الرواية الواقعية، وإن كانت شخصيات ملكة الدار جاهزة، ومثالية مسطحة في بعض أجزاء من روايتها.[٤]

---

(١) ينظر السابق، ص١٥٣-١٥٤.

(٢) ينظر السابق، ص١٦٣.

(٣) ينظر السابق، ص١٦٤.

(٤) ينظر: عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص١٦٥.

واللافت في رواية (الفراغ العريض) الأسلوب اللغوي الرصين التي كُتبت به، وما رافق ذلك من عناية برسم شخصية منى بطلة الرواية، وتجميل صورتها بعد وصف ملامحها الجسدية، والنفسية، والاجتماعية، والفكرية بدقة، وقد ركز بشير عباس على هذا الجانب، وأشار إلى أنَّ ملكة الدار مع تركيزها على صفات البطلة (منى) المعنوية أبرزت في الجانب الآخر الصفات الجسدية، وأبدت المركز الاجتماعي للشخصيات الرجالية التي نالت حظًا وافرًا من تسليط الضوء عليها؛ ذلك لمَّا أسندت إليها الكاتبة أدواراً كثيرة متداخلة، عبَّرت عنها حوارات بينها، وبين بطلة الرواية، وعكست رؤية الكاتبة مفهوم الرواية الحديثة التي لا تقف بالبطولة عند شخصية واحدة، وإنما تقوم بتوزيع الأدوار على شخصيات محورية عِدَّة، وبالرغم من ذلك إلا أنَّ بشير عباس يشير إلى قلة اهتمام الكاتبة بالشخصيات الثانوية بصورة واضحة، ويرى أنها مع هذا "استطاعت أن تقيم رباطاً وثيقاً بين الشخصيات التي ظلت تعمل في اتجاه واحد، وتتعاون في إبراز الفكرة الأساسية للرواية ...، وقد تميَّزت هذه الشخصيات بالحيوية، والحركة نسبة لذلك القدر من الحركة الذي أعطته لها الكاتبة، على الرغم من أنَّ تلك الشخصيات (جاءت) مثالية بصورة مطلقة".[١]

ويدلف بشير بعد ذلك إلى رواية (النبع المر) لأبي بكر خالد التي يضع فيها الكاتب سعيد (الشخصية المحورية) في القصة أمام تحدٍّ نفسي كبير، وصراع معقد مرير، فسعيد مصاب بعقدة كراهية الأنثى، ذلك بعد أن سقط مغشياً عليه في صباه، وهو يتفاجأ برؤية أمه مع رجل غريب في مشهد لم يحتمل قسوته، فبقيت آثاره تجدد الأسى في دواخله طيلة مسيرة حياته التي رهنتها تلك اللحظة إلى واقع من المعاناة المستمرة، ويرى بشير عباس أنَّ كاتب الرواية أبو بكر خالد، وهو يتتبع آثار الحادثة على سعيد، وما نجم عنها من تطوُّر أوصله إلى العجز الجنسي التام، جعل ذلك الكاتب يشغل نفسه في كثير من فصول الرواية بتحليل شخصية سعيد من واقع تصرفاته، وحاله إزاء المشاهد المتصلة بالمرأة، قياسًا على نظريات نفسية، فاتخذ من عجز سعيد الجنسي معادلًا موضوعيًا للعجز الفكري، والسياسي، وفوق ذلك يرى بشير أنَّ طريقة الكاتب تتسم بالمبالغة في رسم الشخصيات، فهو يسقط نظرته المثالية للشخصيات على أبطال روايتي (النبع المر، وبداية الربيع) ولا يراعي ظروف الشخصية، وإمكاناتها الفكرية، والجسدية، فيسند إليها مهاماً لا تناسب قدراتها[٢]، وفي مجمل قول بشير عن الكاتب يلخص رأيه في قوله: "وقد لعبت السياسة دورًا هامًا في تشكيل الرؤية عند أبو بكر خالد، وبالتالي أثرت تلك الرؤية

(١) ينظر السابق، ص١٧٢.

(٢) ينظر: عباس، بشير عباس (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي، ص٧٥-١٧٦.

على أداته الفنية ...، فإنَّ رؤيته تبدو مشوشة إلى حد كبير حيث نلاحظ التناقض الواضح في رسمه للشخصيات، وهو يعتمد على نظريات التحليل النفسي".[١]

ويتوقف بشير عباس في نهاية حديثه عن بناء الشخصية في الرواية التقليدية عند تفسير الباحثين إسناد الكاتب أبو بكر خالد دور البطولة في معظم رواياته إلى المرأة، ويطرح رأيهم القائل إنَّ ذلك يعود إلى اشتغاله بالتدريس في مدارس البنات: ويردف ذلك بقوله، وإنَّا "وإن كنا لا ننكر دور البيئة، وأثرها على الكاتب ...، ولكننا نرى أن هناك أسبابًا أعمق من هذا، وأكثر تأثيرًا دفعت أبا بكر خالد، وغيره من كتاب الرواية الواقعية في السودان إلى الاهتمام بالمرأة، وقضاياها". [٢]

والرواية السودانية منذ بداياتها جعلت المرأة محورًا تدور حوله أحداثها، فملكة الدار محمد، ناقشت قضايا المرأة في الفراغ العريض، وطرحت رؤىً جريئة، وهي تلح على ضرورة تمسك المرأة بحقها في العمل، والعيش الكريم، وهو ديدن معظم كتاب الرواية الواقعية بعدها ممن تناولنا أعمالهم في إشارات سابقة، مرورًا بأبي بكر خالد، وإبراهيم إسحاق، وغيرهما وصولًا إلى الطيب صالح الذي تأتي شخصية (نعمة) في رواية عرس الزين بوصفها أهم شخصيات الرواية بعد الزين، بل من أهم الشخصيات النسائية في الرواية السودانية بعامة.

الخاتمة

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

١. اتسام الرؤية النقدية لبشير عباس بالموضوعية والحياد، بعيدًا عن الأهواء الشخصية والأحكام المسبقة عزّز مصداقيتها.

٢. ساهم اعتماد بشير على المنهجين التاريخي والمقارن في تعميق فهمه لبنية الرواية، وكشْفِ العلاقات الداخلية المكونة لها، والخروج بنتائج تخدم التحليل النقدي.

٣. توصل بشير إلى أنَّ الرواية السودانية الواقعية تمثِّل الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري تمثيلاً صادقاً عزَّز طابعها الواقعي، وجعل منها مرآةً للتحولات الاجتماعية.

٤. كشفت قراءته عن وعي عميق بعناصر السَّرد، وقدرة عالية على تحليل الشخصيات، واستيعاب دلالات اللغة، والمكان في تعبيرهما عن الواقع.

٥. أكَّدت الرؤية أثر لغة الرواية الواقعية في نقل حركة المجتمع، وتمثيل قضاياه، والتعبير عن تفاصيل الحياة اليومية بدقة.

---

(١) ينظر السابق، ص١٨٣.

(٢) ينظر السابق، ص١٨٦.

٦. أثبت البحث عمق وشمول الرؤية النقدية لبشير، وفرادتها من حيث توظيف المنهج النقدي في تحليل، وقراءة بنية النص، وتفكيك عناصره.

٧. انطلقت قراءة بشير للنصوص الروائية من فهم عميق لأدوات التحليلي، ومعرفة دقيقة بأسرار البناء الفني.

ومن أهم توصيات البحث إجراء دراسات تتوسَّع في قراءة مشروع الدكتور النقدي، وتستكمل جوانب مهمة، ومؤثرة منها على سبيل المثال خصوصية المكان في الرواية الواقعية الحديثة في السودان.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

عباس، بشير عباس، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، الاتجاه الواقعي في الرواية السودانية الحديثة بين النظرية والتطبيق، طبعة أولى، أم درمان، دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة، والنشر.

ثانيًا: المراجع

أبو أحمد، حامد، (٢٠٠٣م)، الواقعية السحرية في الرواية العربية، طبعة أولى، عمان، المجلس الأعلى للثقافة، دار سندباد للنشر.

إسحاق، إبراهيم، (١٩٧١م)، أعمال الليل والبلدة، طبعة أولى، الخرطوم، دار الطباعة، قسم التأليف والنشر - جامعة الخرطوم.

إسحاق، إبراهيم، (٢٠٢٢م)، حدث في القرية، طبعة ثانية، الخرطوم، دار مسارب للطباعة والنشر والتوزيع.

حامدين، حماد محمد، (مارس٢٠٢٢م)، "البعد الآثاري في الرواية السودانية، رواية مانفستو الديك النوبي لعبد العزيز بركة ساكن أنموذجاً" مجلة القُلزم العلمية للدراسات الآثارية والسياحية، (العدد الرابع).

صالح، الطيب، (١٩٩٦م)، الأعمال الكاملة، طبعة أولى، بيروت، دار العودة.

الصاوي، مصطفى محمد، (١٠ نوفمبر ٢٠٢٤م)، "تجليات الرِّق في الرواية السودانية- تسريد التَّعدُّد العِرقي والثقافي وتداعياته" سلطنة عمان، مجلة نزوى، وزارة الإعلام، (العدد ١٢٩).

عبد العظيم، إيمان إمام، (أكتوبر ٢٠١٨م)، "الرؤية النقدية لجدلية اللغة في الرواية الواقعية" مصر، المجلة العلمية، المجلد السابع، (العدد الرابع).

فانتس، سار، (١٩٩٩م)، دون كيشوت، ترجمة صياح الجهيم، طبعة أولى، بيروت، دار الفكر اللبناني.

لوكاتش، جورج، (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، دراسات في الواقعية، ترجمة د. نايف بلّوز، طبعة ثالثة، لبنان، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

محمد أحمد، عبد الغفار الحسن، (٢٠٢٢م)، "أسئلة الهوية السودانية في رواية زوج امرأة الرصاص وابنته الجميلة- لعبد العزيز بركة ساكن" مجلة كلية اللغة العربية- جامعة أم درمان الإسلامية، (العدد الحادي عشر).

محمد، ملكة الدار، (١٩٧٠م)، رواية الفراغ العريض، طبعة أولى، الخرطوم، المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون.

نستام، توري نورد، (١٩٩٦م)، الأخلاق السودانية، ترجمة د. أحمد علي محمد مهدي، طبعة أولى، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر.

الوهابي، عبد الرحمن محمد، (٢٠١١م)، "إستراتيجية السرد وواقعية الرواية المعاصرة في السعودية" مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية، (م١٩ع١).

المواقع على الشابكة:

إبراهيم، محمد إبراهيم، (٢٠١٩م)، "الهمباتة أسلوب حياة منقرض"، صحيفة الراكوبة، ٥ يناير ٢٠١٩م، الرابط على الشبكة: *https://www.alrakoba.net/٣١٦٥٠٩*

الحاج، هاشم ميرغني، (يوليو ٢٠٢٠م)، "أطلس السرد – الهويات المركبة في سرد المنفى"، صحيفة مداميك (١٥ يوليو)، الموقع على الشابكة:

https://www.medameek.com

الحاج، هاشم ميرغني: "الرواية السودانية الجديدة تزدهر كاسرة مركزية الصوت الواحد" الموقع على الشبكة: *https://www.independentarabia.com/node/174536*

الحاج، هاشم ميرغني، (٢٠١٧م)، "تحليل ومناقشة ببليوغرافيا الرواية السودانية ١٩٤٨–٢٠١٥م" فضائية S ٢٤، برنامج الوراق، تقديم: غسان علي عثمان، ٢٠١٧م.

عجب الفيا، عبد المنعم، (٢٠٢١م)، "محمد أحمد محجوب مفكراً وناقداً أديباً وشاعراً" صحيفة التحرير، (٢٨ يوليو ٢٠٢١م)، الموقع على الشبكة:

https://www.alttahrer.com/archives/6968

فريق ميدان: "فن الرواية ملحمة العصر الحديث" الجزيرة نت، الموقع على الشبكة:

https://www.aljazeera.net › midan › intellect › literature

الملك، هويدا محمد الرَّيح، (د. ت)، "البنية السردية في الرواية السودانية" كلية الآداب– جامعة الطائف، الموقع على الشابكة:

https://sardiat.journals.ekb.eg/article_204367_00cb49d75a6557946056eb218569fb.pdf

المصادر العربية بالحروف اللاتينية

ʻAbbās, Bashīr ʻAbbās, (1432h - 2011), al-Ittijāh al-wāqiʻī fī al-riwāyah al-Sūdānīyah al-ḥadīthah bayna al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq, Ṭabʻah ūlá, Umm Durmān, Dār Jāmiʻat Umm Durmān al-Islāmīyah lil-Ṭibāʻah, wa-al-Nashr.

المراجع العربية بالحروف اللاتينية

Abū Aḥmad, Ḥāmid, (2003), al-wāqiʻīyah al-siḥrīyah fī al-riwāyah al-ʻArabīyah, Ṭabʻah ūlá, ʻAmmān, al-Majlis al-Aʻlá lil-Thaqāfah, Dār Sindibād lil-Nashr.

Isḥāq, Ibrāhīm, (1971), aʻmāl al-layl wa-al-baldah, Ṭabʻah ūlá, al-Kharṭūm, Dār al-Ṭibāʻah, Qism al-Ta'līf wa-al-Nashr-Jāmiʻat al-Kharṭūm.

Isḥāq, Ibrāhīm, (2022), ḥadatha fī al-qaryah, Ṭabʻah thānīyah, al-Kharṭūm, Dār msārb lil-Ṭibāʻah, wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

ḥāmdyn, Ḥammād Muḥammad, (mars 2022), "al-Bu‘d al-āthārī fī al-riwāyah al-Sūdānīyah, riwāyah mānfstw al-Dīk al-Nūbī li-‘Abd al-‘Azīz Barakah Sākin unmūdhajan" Majallat alqulzm al-‘Ilmīyah lil-Dirāsāt al-āthārīyah wa-al-siyāḥīyah, (al-‘adad al-rābi‘), (13 ṣafḥah).

Ṣāliḥ, al-Ṭayyib, (1996), al-A‘māl al-kāmilah, Ṭab‘ah ūlá, Bayrūt, Dār al-‘Awdah.

al-Ṣāwī, Muṣṭafá Muḥammad, (10 Nūfimbir 2024), "Tajallīyāt alrriq fī al-riwāyah alswdānyt-tsryd altta‘ddud al‘irqy wa-al-thaqāfī wa-tadā‘iyātuhu" Salṭanat ‘Ammān, Majallat Nizwá, Wizārat al-I‘lām, (al-‘adad 129) (16 ṣafḥah).

‘Abd al-‘Aẓīm, Īmān Imām, (Uktūbir 2018), "al-ru’yah al-naqdīyah ljdlyh al-lughah fī al-riwāyah al-wāqi‘īyah" Miṣr, al-Majallah al-‘Ilmīyah, al-mujallad al-sābi‘, (al-‘adad al-rābi‘), (27 ṣafḥah).

fānts, sāra, (1999), Dawwin kyshwt, tarjamat Ṣayyāḥ al-Juhaym, Ṭab‘ah ūlá, Bayrūt, Dār al-Fikr al-Lubnānī.

lwkātsh, Jūrj, (1405h-1985), Dirāsāt fī al-wāqi‘īyah, tarjamat D. Nāyif bllwz, Ṭab‘ah thālithah, Lubnān, Bayrūt, al-Mu’assasah al-Jāmi‘īyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.

Muḥammad Aḥmad, ‘Abd al-Ghaffār al-Ḥasan, (2022), "as’ilat al-huwīyah al-Sūdānīyah fī riwāyah Zawj imra’ah al-raṣāṣ wābnth aljmylt-li-‘Abd al-‘Azīz Barakah Sākin" Majallat Kullīyat al-lughah al‘rbyt-Jāmi‘at Umm Durmān al-Islāmīyah, (al-‘adad al-ḥādī ‘ashar), (23 ṣafḥah).

Muḥammad, Malakah al-Dār, (1970), riwāyah al-farāgh al-‘Urayyiḍ, Ṭab‘ah ūlá, al-Kharṭūm, al-Majlis al-Qawmī li-Ri‘āyat al-Ādāb wa-al-Funūn.

nstām, Tūrī nwrd, (1996), al-akhlāq al-Sūdānīyah, tarjamat D. Aḥmad ‘Alī Muḥammad Mahdī, Ṭab‘ah ūlá, al-Kharṭūm, Dār Jāmi‘at al-Kharṭūm lil-Nashr.

al-Wahhābī, ‘Abd al-Raḥmān Muḥammad, (2011), "istirātījīyah al-sard wa-wāqi‘īyat al-riwāyah al-mu‘āṣirah fī al-Sa‘ūdīyah" Majallat Jāmi‘at al-Malik ‘Abd al-‘Azīz lil-Ādāb wa-al-‘Ulūm al-Insānīyah, (m19‘1), (30 ṣafḥah).

المواقع على الشابكة

Ibrāhīm, Muḥammad Ibrāhīm, (٢٠١٩m), "alhmbāth uslūb ḥayāt mnqrḍ", Ṣaḥīfat alrākwbh, ٥Yanāyir ٢٠١٩m, alrābṭ ‘alá al-shābikah : https : / / www. alrakoba. net / ٣١٦٥٠٩

al-Ḥājj, Hāshim Mīrghanī, (Yūliyū 2020m), "Aṭlas al-sard-al-huwīyāt al-murakkabah fī Sard al-manfá" Ṣaḥīfat mdāmyk (15 Yūliyū), al-mawqi‘ ‘alá al-shābikah: Https://www.medameek.com ›

al-Ḥājj, Hāshim Mīrghanī: "al-riwāyah al-Sūdānīyah al-Jadīdah tzdhr kāsrh markazīyah al-Ṣawt al-Wāḥid" al-mawqi‘ ‘alá al-shābikah https://www.independentarabia.com/node/174536

‘Ajab al-Fayyā, ‘Abd al-Mun‘im, (2021m), "Muḥammad Aḥmad Maḥjūb mfkran wa-nāqidan adīban wshā‘ran" Ṣaḥīfat al-Taḥrīr, (28 Yūliyū 2021m), al-mawqi‘ ‘alá al-shābikah. https://www.alttahrer.com/archives/6968

farīq Maydān: "Fann al-riwāyah Malḥamat al-‘aṣr al-ḥadīth" al-Jazīrah Nit, al-mawqi‘ ‘alá al-shābikah:

Https://www.aljazeera.net › midan › intellect › literature

al-Malik, Huwaydā Muḥammad alrrayḥ, (D-t), "al-binyah al-sardīyah fī al-riwāyah al-Sūdānīyah" Kullīyat al’ādāb-Jāmi‘at al-Ṭā’if (62ṣfḥh), al-mawqi‘ ‘alá al-shābikah: https://sardiat.journals.ekb.eg/article _ 204367 _ 00cb49d75a6557946056eb218569fb. Pdf

مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م (٣٤)، ع (١)، ص ص: ٤٧٨ – ٥٠٢ (٢٠٢٦م)
DOI: 10.4197/Art.34-1.17

The Realistic Trend in the Sudanese Novel: A Reading in the Critical Perspective of Bashir Abbas Bashir

Abu Sabah Ali Altayeb Abu Sabah

Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of teaching Arabic to non-native speakers, College of Languages & Humanities, Qassim University, Buraidah, Saudi Arabia

aa.abusabah@qu.edu.sa

Abstract: This research examines the vision of the Sudanese critic Bashir Abbas Bashir for the realistic trend, one of the most prominent trends in the Sudanese novel. It also reviews his critical reading of selected models of novel works, revealing the secrets of their artistic structure across elements such as events, characterization, setting, epic and dramatic structures of the characters. Applying the descriptive analytical approach, the study aims to reveal Bashir's critical vision, based on observation, deduction, monitoring opinions, and linking them to reality. The research has an introduction, a conclusion, a list of sources and references that come under titles discussing Bashir's critical vision, showing the value of his views, and dealing with epic and dramatic structures of reality issues and theoretically and practically relevant topics that address the relationship between the novel and reality. The conclusion shows a deep and comprehensive critical vision of Bashir Abbas that merges the historical and comparative approaches. It also shows his ability to deal with the narrative text as a creative linguistic system, aiming to study it in detail to get an apparent reality-related picture of its components. The findings recommend completing Bashir's critical project from the perspective of the specificity of the place in the Sudanese novel.

Keywords: Critical vision, Realistic trend, Sudanese novel, Reality issues, Bashir Abbas